

في حياته . وترى تناقضاً بين ما في قلبها وبين حياتها وهي مجموعة  
ينظر بعضها إلى بعض نظرات متداخلة من خلال القضبان ...  
قف هناك طويلاً وانظر هيآت الأجسام والنفوس المتعددة ...  
أنظر حركات العيون المختلفة وفكر : كم للدنيا من أشكال متعددة  
عند كل نوع من أنواع ساكنيها ... أنظر نظرات العيون المختلفة  
واسمع أصوات المناجر المختلفة واستحضر روح سليمان بن داود  
مفهم الطير والبهائم والمرودة ...

اسح على الجلود والريش والشعر والقشر وشق البطون  
والجلود وانظر الآلات التي تدور بها هذه الأجسام ...  
أقفه شجاعة الأسد وجبن الفأر وحقد الثعبان ووراعة  
الحل وشراهة الذئب ومكر الصلح و .. قد خلق ربك كل هذا  
من طين يا أخي ! كل قلب من قلوبها يختص بصفة واحدة من  
الصفات التي جمعها في قلب الإنسان : خلاصة الحياة والأحياء ،  
والأين البكر للطبيعة ...

« حديقة الحيوان » تسمية أولى منها أن يقال « حديقة الحياة »

٤ - لمن هذا كله ؟

كل يوم تفرش الدنيا بالضياء أمام الإنسان يسير ، وتسدل  
عليها أستار الظلام لينام ... وسواء أكان على الأرض قدم نسير  
أم لم تكن .. وسواء أكان على المهاد جسم ينام أم لم يكن ... فإن  
الآلات الإلهية تدور في دهب مجيب وعدم أكثرات بالإنسان  
فالعصا يشرق على العاهل والباهل والناهب والخالل ، والماء  
يسر المهران والنأم المكدود ، والريح والطريف والصف  
والشقاء تتداول وجه الأرض ؛ يحيا الإنسان ويموت وهي عاملة  
ناصية لا تبالى ...

فالدنيا تدور باطراد ويدور معها كل شيء ، لا فكر فيه ،  
ولا يتخلف إلا الإنسان فإنه قد يقف في مكانه حقياً تطول ،  
أو قد يدور دورة عكسية إلى الخلف الآن فيه قوة الاختيار ...  
وتخيل للتأمل أن الدنيا قد دارت « على القاضي » كثيراً  
فند ما لم يعمل الإنسان عملاً يقدمه إلى الأمام ، وقد ضاعت قوى  
كثيرة من عمر الزمان سدى ... ضعفاً جعل الإنسان ويطؤه  
في إدراك وجهة الحياة

فمن المتفجع بالحياة ؟ من الذي خلقت له الحياة ؟

## صلاوات فكر

في محاريب الطبيعة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

٣ - الإسهام

أبدرى ناظر في الطبيعة ماذا يحدث أمامه كل لحظة ؟  
الطبيعة تعمل أعمالها العظيمة المتعددة في كل لحظة .. تدبر  
الأجرام ، وتبنى الأجسام وتسكب الشعاع ، وتسوق الريح ، وتوزع  
المسرات ، وتملأ جميع القوال ، وتسطى الإذن والشورة والرأى  
لكل شيء ...

لا اصطدام ولا تناقض ولا فطور ولا صدوع . تجيب كل حي  
لبسائه وتكلمه وتؤميه وتوجهه وتلد وتدفن وتضعلث وتؤول .  
لا تمام ، ولا تسريح . قلبها لا يقف عن الدوران والنبض .. كل  
بذرة ، كل بويضة ، كل ورقة ، كل حشرة ، كل ذرة تحتاج  
إلى عناية وإرشادها ، وهي تعطى العناية والشورة ولا تخطف  
من يكذبى فليذهب إلى حديقة الحيوان بالقاهرة أو إلى أى  
حديقة مثلاً ، حيث تجتمع فيها نماذج حياة الأرض ، ليرى ويسمع  
« الجوق » وهو بمنزلة « أوبرا » الحياة جميعها ...

إن حديقة الحيوان موضع عناية الله البارى ، إنها عندى  
معبود أذهب إليه كثيراً بالجسم حين أكون في القاهرة ، وأذهب  
إليه الآن وأنا في العراق بالروح والفكر لأقف مع الأحياء جميعها  
أمام الله !

إنها معرض دائم للنتوجات الحية المجموعة من كل مكان  
في الأرض . إنها حسنة من حسنات الإنسان لولا أنه فعلها غير  
مقصود ، بل للهو والتاع بدون تفكير وروح ...

إن الملائكة يتفرجون بها أكثر مما يتفرج الناس ... ليروا  
فعل ربهم في غير ظلمهم ... في عالم الطين ... إنهم يعجبون من  
تصنيف القلوب والشكول والمقول فيها ... وإن القلوب والطباع  
هناك أسرها مجيب . الأضداد والأعداء ينظر بعضها إلى بعض  
من خلال الأفتاض ويتعجب كل منها من هذا الوضع الشاذ

### ٥ - صور من اوهامهم في الغمام

أما الآن في السماء دنيا كاملة من الصور والأشكال ...  
نمقتها الصدفة وحيكما الأوهام ... كلها من وهمي وليس فيها  
من الحقيقة شيء ... لو أرادت عبقرية أي مصور أن تخرج مثلها  
لعجرت ... إنها دنيا من همسات الظنون وغايات الأحلام  
في نسي . أنظر إليها ولا أمل كما ينظر الطفل إلى فقاعات الصابون  
التي تكون وتنفجر في لحظة ، وأجدراحة في نسي لا تشتهي ،  
ولا عمن لها

إني أجد في الأرض آثار النظام والإحكام والتحديدات  
والتراب القاسية التي لا تسمح لتخيل بالانطلاق وتكوين ما يريد .  
ولكنني أجد في فرضي الغمام ومخرج الصور فيه انطلاقة وحرية  
في تركيب الصور ، وفي ذلك ما يرضي ويشبع حاستي بالإنهائية  
ويجعلني غير خاضع لمنطق الصور الأرضية وأصول التجسيم  
فسلم الأجسام والأحجام والصور الحقيقية في الأرض  
هو عندي روايات تشيلية يمثلها أفس وحيوانات حقيقية ، وعالم  
أشباح الغمام كعالم الصور المتحركة التي يمثلها « ميكي ماوس »  
وأصرايه ، مما يعطى كل جاد وكل حيوان ونبات روح فكر  
ورمز وحركة وحياء

ولو كنت مصوراً لأخذت من تهاويل الغمام في ساعة واحدة  
آلافاً من « رموس الأفكار » في أوضاع الأجسام وإخراج  
البدائع . ولا شك أن هذا هو أصل التماثيل الخرافية الأسطورية  
التي لم يتقيد صانعوها بما هو كائن حقيقي ولا بالقوالب المعروفة  
للأجسام . بل ركبوا متناقضات وجمعوا مفارقات وأخرجوها  
ليرضوا بها نزوات الانطلاق في النفس الإنسانية زمان طفولتها

فيا عالم الانطلاق ! أنا أنظر إليك سجيناً بأعلاى وأصفادى  
مربوطاً بالعقل الأرضي والمنطق الإنساني ... لم يشبع خيالي  
تنوع الصور الأرضية ولم أقف عند حد . وإنما في نسي إدراك  
عميق تام أن الصور التي عند ربى لا تشتهي

فأطلق لهم خيالي من العالم « التبليور » إلى العالم المائع الذي  
لا أجسام فيه ولا أحجام ... أطلق خيالي ولا تضيقه ! أسعدني به  
على القيود مادمت قد حبوتهى هذا النوع الحاد الدائم إلى الرحلة  
في مجائب ما تصنع وما تستطيع أن تصنع ؛ ولا حد لاستطاعتك !

هو الذي لا يضيغ شعاع ضوء من أضواء النهار سدى ،  
ولا قطرة من ماء السماء سدى ، ولا بذرة من بدور الأرض سدى ،  
ويحتفل احتفالاً ليرى صنعة الله !  
هذا الذي يأتي أمانه الإله المطايا فيلقطها في بقطة ينتمتع  
وينعم ...

هذا الذي عرف قيمة الحياة هبة الله العظمى ! وأحسها  
إحساساً عميقاً وفكر فيها فكراً ، وأقبل عليها في شغف إقبال  
الأطفال على « السينما » ... فرأى كل شيء ، وقرأ كل شيء ،  
ووضع قلبه وفكره على كل شيء ...

هذا الذي يستعمل مواهبه من الله لكيه أثر صنعة العجيبة  
في الإنسان ... وليؤدى دوره كاملاً بين الكائنات كما تؤدي  
أدوارها بقية جنود الله ...

هذا الذي يفكر وبأكل وينسى ويتذب ويضعك ملء  
رقيقه ويكفي ملء عينيه ، ويلد ويدفن ويعمل بيده ويمشي برجله ؛  
أعنى لا يعطل شيئاً ولا يتعرد ...

هذا الذي لا يفلح حواسه عن جمال دنياه ... ولا يترك باباً  
من أبواب المعرفة إلا قرعه ودخل منه إلى سر من أسرار الله ...  
هذا الذي تمثل فيه مجموعات الأحياء وينطوي فيه العالم  
الأكبر ...

كل شيء يؤدي خواص خلقته وتكوينه إلا الإنسان . فقد  
شغل من خاصته التي له وحده ودخل عنها دهره أطويلاً إلا أفراداً  
قلائل ...

تتشواكم من الناس عاشوا كما يريد رب الحياة في النوع ؟  
مليون ؟ ثلاثة ؟ ألف مليون ؟

يا ضيعة الإنسان إن كانت نسبة « العارفين » منه في جميع  
الأزمان كنسبة الذين ترام الآن في زماننا !

كله ! سوف لا يدخل إلى الله إلا الذين عرفوه وعرفوا سر  
صنعه هنا ... أما غيرهم فيذهبون إلى جحيم الحرمان والنسيان .  
« ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون  
بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ،  
أولئك كالأنعام بل هم أضل . أولئك هم الثافلون ... »